مدلولات هذه الاية فكان القول بالنسخ باطلا اهـ ولا ينبغي هذه المبالغة
مع مثل من ذكر وقد نبه جماعة من المفسرين ولما قسم الله تعالى الكفار
الى قسمين منهم من يكون في غاية البغض له والعداوة وغاية النفرة
عن قبول دينه ومنهم من لا يكون كذلك نوصف القسم الاول في قوله
تعالى ومنهم اي من هولاء المشركين من يستمعون اليك اذا قرأت القران
وعلمت الشرايع باسماعهم الظاهرة ولا ينفعهم لشدة عداوتهم وبغضهم
لك فان الانسان اذا قوي بغضه لاخر وعظمت نفرته منه صارت
نفسه متنفرة عن جميع جهات محاسن كلامه افانت تسمع الصم اي
لا تقدر على اسماعهم ولو كانوا مع الصمم لا يعقلون اي لان الاصم العاقل
ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوي الصوت فاذا اجتمع
سلب السمع والعقل جميعا فقد تم الامر فكما انك لا تقدر على اسماع
من اصم الله تعالى قلبه فان الله تعالى صرف قلوبهم عن الانتفاع بما
يسمعونه ولم يوفقهم لذلك فشبههم بالصم في عدم الانتفاع بما يتلى
عليهم ثم وصف القسم الثاني بقوله تعالى ومنهم من ينظر اليك اي
بما يرون دلايل نبوتك ولا يهتدون لتكذيب افانت تهدي العمي اي اتقدر
على هدايتهم ولو كانوا مع العمي لا يبصرون اي لا بصيرة لهم لان الاعمى
الذي في قلبه بصيرة قد يحدس ويتفطن فاما العمى مع الحمق فجهد
البلاء فلا تقدر على هداية من اعمى الله تعالى بصيرته فهولاء في الياس
من ان يقبلوا ويهتدوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصاير
فلا تقدر على اسماعهم وهدايتهم الا الله تعالى تنبيه اختلف في ان
السمع افضل ام البصر فمنهم من قال السمع واحتج على ذلك بامور منها
ما تقدم في الاية ومنها ان القوة السامعة تدرك المسموع من جميع
الجوانب والقوة الباصرة لا تدرك المرئي الا من جهة واحدة وهي المقابل

ومنها



ومنها ان الانسان انما يستفيد العلم من التعلم من الاستاذ وذلك لا يكون
الا بقوة السمع ومنها ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام يراهم الناس ويسمعون
كلامهم فنبوتهم ما حصلت بسبب ما معهم من الصفات المرئية وانما
حصلت بسبب ما معهم من الاحوال المسموعة وهو الكلام وتبليغ الشرايع
وبيان الاحكام ومنها ان المعنى الذي يمتاز به الانسان من ساير الحيوانات
هو النطق بالكلام وانما ينتفع بذلك بالقوة السامعة فمتعلق السمع
النطق الذي يحصل به شرف الانسان ومتعلق البصر ادراك الالوان
والاشكال وذلك امر مشترك فيه بين الناس وبين ساير الحيوانات
ومنهم من قال البصر واحتج بامور منها ان الة القوة الباصرة هي النور
والة القوة السامعة هي الهوا والنور اشرف من الهوا ومنها ان جمال
الوجه يحصل بالبصر وبذهابه عيبه وذهاب السمع لا يورث الانسان عيبا
في جمال وجهه والعرب تسمي العينين الكريمتين ولا تصف السمع بمثل
هذا وفي الحديث يقول الله تعالى من اذهبت كريمتيه فصبر واحتسب لم
ارض له ثوابا دون الجنة ومنها انهم قالوا في المثل المشهور ليس وراء
العيان بيان وذلك يدل على ان اكمل وجوه الادراكات هو الابصار
ومنها ان كثيرا من الانبيا سمع الله واختلفوا في انه هل راه منهم احد
منا ما ام لا وايضا فان موسى عليه السلام اسمعه الله تعالى كلامه من
غير سبق سوال والتماس فلما طلب الرؤية قال لن تراني وذلك يدل
على ان حال الرؤية اعلا من حال السماع وهذا هو الظاهر ولما حكم الله
تعالى على اهل الشقاوة بالشقاوة بقضايه وقدره السابق فيهم اخبر
تعالى ان تعذيب الشقاوة عليهم ما كان ظلما منه بقوله تعالى ان الله
لا يظلم الناس شيا لانه تعالى في جميع احواله متفضل وعادل يتصرف
في ملكه كيف شا والخلق كلهم عبيده وكل من تصرف في ملكه بالفضل والعدل

Copyright © King Saud University